مقاومة شريف بوشوشة من خلال الكتابات الفرنسية كتاب "لويس رين" الموسوم ب:" تاريخ انتفاضة 1871 في الجزائر أنموذجا.

Sharif Bouchoucha's Resistance through French Writings: Louis Rinn's History of the Insurrection of 1871 in Algeria as a Case Study

أ. الميـــلق عبد القادر

ب. المركز الجامعي افلو الاغواط الجزائر mailaghaek2012@gmail.com

ملخص:

إن الأقلام التي دونت احداث المقاومة الشعبية في الجزائر من خلال مشاهدتها ومعاصرتها هي الأقلام الفرنسية، فأصبحت وبحكم تلك المعاصرة المصدر الأساسي الذي لا يستغني عنه أي باحث في تاريخ المقاومة. غير أن ما يلاحظ عن هذه الكتابات هو التشويه السافر والتقزيم المعلن لأصحابها، من هنا يجب في نظرنا أنه على الباحث الجزائر بإعادة النظر في مثل هذه المصادر ومراجعتها؛ لأنها وضعت المقاومة وزعمائها في إطارها غير الصحيح، وارتأيت في هذه الورقة العلمية المتواضعة أن أنوه بالأسطوغرافيا التي تناولت مقاومة الشريف بوشوشة، ومنه يمكن طرح الاشكال التالي كيف كان منهج لويس رين"Louis Rinn"في كتاباته حول الشريف بوشوشة؟

Abstract :

The writings that documented the events of the popular resistance in Algeria were predominantly produced by French authors who witnessed and experienced these events firsthand. Consequently, these accounts have become indispensable primary sources for researchers studying the history of Algerian resistance. However, a critical examination of these writings reveals a clear tendency toward distortion and the deliberate minimization of the role and stature of resistance leaders. Therefore, it is essential for Algerian scholars to reassess and critically re-examine these sources, as they often portrayed the resistance movement and its leaders within an inaccurate colonial framework.

In this modest study, the focus is placed on the historiography dealing with the resistance of Sharif Bouchoucha, with particular attention to the writings of Louis Rinn. Accordingly, the central research question is formulated as follows: What methodological approach did Louis Rinn adopt in his writings on Sharif Bouchoucha?

Keywords: *Sharif Bouchoucha, Popular Resistance, French Colonial Occupation, Algeria, Louis Rinn.*

https://doi.org/10.34118/jhc.v1i1.4755

--أسطوغرافيا مقاومة الشريف بوشوشة:

بداية نحن أمام مصطلح فرض نفسه في ميدان الدراسات الحديثة في مجال الكتابة التاريخية، ألا وهو مصطلح الأسطوغرافيا، التي يحددها المؤرخ المغربي "عبد الله العروي" بقوله:"...هي تاريخ التاريخ.."[1]،ثم يضيف قائلا:"...لما أسميناه بالتاريخيات ،مقابل كلمة أسطوغرافيا وهذه تعني، بالمعنى الضيق، مجموع النتائج التي توصل إليها الدارسون للكتابات التقليدية مثل الحوليات والمذكرات والأخبار الجزئية والطبقات والسير...، وفي المعنى الواسع، دراسة طرق البحث والاستقصاء في شؤون الماضي.."[2].يشير التحديد الأول إلى المضمون والثاني إلى الشكل[3]. إذا الأسطوغرافيا تعني العناية بكل محتويات المادة التاريخية؛ من حيث المصادرّ أولا، ثم الاختيارات المنهجية الصريحة أو الضمنية. طبعا هذا التعريف يقودنا إلى طرح سؤال: يكمن في ماهية مواصفات الكتابة الاسطواغرافيا الاستعمارية؟

إن ما يميز الأسطوغرافيا الاستعمارية التي عالجت تاريخ الجزائر المعاصر (1830 – 1954)[1] هو ارتباطها بأرشيف الإدارة الاستعمارية، ارتباطا يجعلها تعيد إنتاج تحاليلها المختلفة وخلاصاتها العامة[2].أي رسم تصور مسبق وأحكام نابعة من الذهنية الفرنسية التي تتعرض وتتجافى مع الواقع والحدث التاريخي الناشئ والمحدث على أرض غير أرضهم، وإنسان ومجتمع مغاير لهم تماما. ويعتبر تاريخ 16ديسمبر1831م البداية الأولى والأثر الوحيد لاهتمام الفرنسيين بالدراسات التاريخية حول الجزائر؛ إذ سمح الجنرال بيرتزين"P.Berthezene"للسيد شيافي "Sciavi"-الذي يزعم أنه عالما للآثار بينما كان من الذين يجمعون الآثار القديمة ويبيعونها بأثمان طائلة-أن يقوم بمجموعة من التنقيبات في المنازل و الحدائق العامة[3].يفهم من كلام بيربروجر "L.A ,Berbrugger" السابق الذكر أن الفرنسيين لم تكن نواياهم سليمة في تعاملهم مع تاريخ وتراث الجزائر،حيث أطلقوا العنان لمن هم تجار ومهربين للذاكرة الجزائرية في تقليدهم لمهمة الإشراف عليها،ثمفقدان هؤلاء لآليات كتابة حتى تقارير عن طبيعة عملهم اليومي، فما بالك في مجال البحث والتنقيب في الآثار القديمة كما يزعم الجنرال"بيرتزين".وهنا أنوه إلى أن كل التقارير التي كانت ترفع من عمال الإدارة الفرنسية إلى رؤسائهم تصب في مصلحة خدمة الاستعمار الفرنسي،

https://doi.org/10.34118/jhc.v1i1.4755

حيث كان يشوبها الطابع الدعائي المتعدد الأغراض؛الطابع الاستكشافي ،الطابع الاستراتيجي والتجاري، فمثلا على سبيل المثال نجد في التقرير الذي بعث به الوالي العام بيجو" Bugeaud" إلى الماريشال سولت"SOULT"، وفيه يقول: "...وبسيطرتنا على هذه المناطق تنفتح لنا آفاق واسعة لازدهار تجارتنا وربطها بإفريقيا الداخلية..."(4).فمضمون هذا التقرير اقتصادي استراتيجي دعائي.وأحسن من عبر عن المدرسة التاريخية الفرنسية وكيفية تعاملها مع تاريخنا، هو شيخ المؤرخين المرحوم "أبو القاسم سعد الله"، إذ يقول: "..ومن الأسف أن تاريخ الجزائر في القرن التاسع عشر ما يزال غير مدروس.فالمؤرخون الفرنسيون أمثال: (جوليان، وايفير، وآجرون،..)اهتموا "ببطولات" جيشهم ورواد ادارتهم في الجزائر وكذلك تطور الجالية الأوربية فيها و"انجازات "العهد الاستعماري في ميدان الطرق والزراعة والصناعات ونحو ذلك مما كان يهدف إلى خدمة الدولة الفرنسية واسعاد الجالية الأوروبية..."(5).

أردت من خلال إيراد كلام المرحوم "أبو القاسم سعد الله" أن أصل إلى أمر في غاية الأهمية؛ وهو أن المدرسة الفرنسية سعت ونجحت في تشويه وتقديم قضايا تاريخنا عبر العصور في صورته غير الحقيقية، وبالمقابل نجد ما قدمناه وما أبديناه تجاه المدرسة الفرنسية، هو المقاومة الشفوية والرفض العاطفي دون تقديم البديل لما تنتج؟(1).وأما عن الدراسات التي تناولت مقاومة بوشوشة من طرف الفرنسيين فتتمثل في: دراسة"Louis Rinn,Histoire de L'insurrection de 1871 , en Algérie. Alger, 1891".ودراسة " "LeChatelier,LesMedaganat, ,in(R.A) N° 30,1886.

وأما من طرف الجزائريين فهي قليلة جدا،وتتمثل في دراسة المؤرخ المرحوم " يحي بوعزيز"" في كتابه:"ثورات الجزائر في القرنين19و20"،**ج1، منشورات متحف المجاهد، الجزائر1996. يضاف إليها الدراسة القيمة التي أعدها المؤرخ الجزائري "محمد بن معمر" محمد بن معمر: الشريف بوشوشة: زعيم ثورة 1871م في صحراء الجزائر الشرقية، في مجلة عصور، مجلة فصلية محكمة يصدرها مخبر البحث التاريخي مصادر وتراجم، جامعة وهران 2002، العدد 01** ".

https://doi.org/10.34118/jhc.v1i1.4755

2- منهج لويس رين في كتابة كتابه "تاريخ انتفاضة1871 في الجزائر":

بداية من هو" لويس رين"؟:اسمه الكامل لويس ماري رين، ولد فرنسا سنة1838م رئيس سابق في المصلحة المركزية لشؤون الأهالي، ومستشار سابق للحكومة الفرنسية، ضابط جوقة الشرف، دخل إلى مدرسة سان سير العسكرية، جاء إلى الجزائرسنة1864م ليعمل في مصلحة شؤون الأهالي، كان متقنا للغة العربية[1].يعد لويس رين من الكتاب العسكريين الذين بلغوا من الشهرة والسمعة والأثر مبلغا غير قليل، فهو العسكري الذي اهتم برجالات الطرق الصوفية والزوايا المنتشرة في الجزائر[2]، ويعتبر" لويس رين" من كتاب ضباط المكاتب العربية[3].تقلد أيضا في الجزائر قائد فيلق مشاة، وقائد المصلحة المركزية لشؤون الأهالي في الحكومة العامة، شغل أيضا منصب نائب رئيس الجمعية التاريخية الجزائرية، واعتبر من الفرنسيين الأكثر معرفة ودراية بالشؤون الإسلامية، وبالخصوص مسائل القبائل. له مؤلف عن الطرق الصوفية والإخوان في الجزائر، الذي حدد فيه وضعية وحال الإسلام في الجزائر، حيث استطاع تقدير عدد المريدين من الطرق الصوفية؛ كالرحمانية، والقادرية، والتيجانية[4].غير أن بعض المؤرخين من يعده ضمن كتاب العهد العسكري غير المتخصصين[5] رغم ظهور كتابه "تاريخ انتفاضة 1871في الجزائر" سنة1891باريس[6].

وأما عن منهج" لويس رين "فهو لا يختلف عن الكتاب الفرنسيين العسكريين حين ذهب إلى نفس منحى من أن القوى الاستعمارية بما فيها فرنسا زعمت إدخال الحضارة الحديثة للجزائر حسب ادعائهم، ثم نجده يعمق دراساته على الحركات الدينية التي عرفتها الجزائر، التي ساهمت حسب رأيه في تعبئة الأهالي ضد السياسة الفرنسية، وهذا من طرف رجال الدين، من هنا جند كل كتاباته للوقوف في وجهها؛ عن طريق إحصاء أماكنها ومجال انتشارها[1].فيعزو سبب اندلاع مقاومتي "مقاومة واحة العامري1876م" و"ثورة الاوراس1879م"، وانتفاضة الجنوب الوهراني[2] للطريقة الرحمانية[3].ولعل الذي يلاحظ منهج لويس رين في كتاباته هو إدراج الآراء السياسية التي تخدم فرنسا، فمثلا يعتمد تقسيم الطرق الصوفية إلى مناؤئة كالرحمانية، ومعاونة للفرنسيين مثل الطريقة القادرية[4]،طبعا هذا المنهج تفرضه اعتبارات؛ منها أن المؤرخين الاستعماريين قد كتبوا تاريخ الجزائر بوسائل فكرية وأدوات منهجية ارتبطت بوضعية العلوم

https://doi.org/10.34118/jhc.v1i1.4755

الإنسانية و التاريخ في عصرهم. إنهم – مثل المؤرخين في العالم – قد تأثروا بأصولهم الاجتماعية وبالبيئة السياسية المحيطة و بالمناخ الفكري الثقافي السائد[5].فماهي يا ترى حقيقة وصورة مقاومة الشريف بوشوشة من وجهة نظر لويس رين؟

3– صورة مقاومة الشريف بوشوشة من منظور" لويس رين":

اخترت الكتابة في موضوع مقاومة الشريف بوشوشة لاعتبارات منها،أن المقاومة طيلة القرن التاسع عشر عرفت أسماء كثيرة عرف منها النزر القليل، وبالمقابل نجد الكثير مازال في طي النسيان، ولا تكاد تجد له ذكر عن بداياته الأولى كما هو الحال مع الشريف بوشوشة وعن بيئته، فنحن نجهل أصوله وشبابه والمواهب التي صقلت شخصية هذا البطل، كذلك الحال بالنسبة لبوبغلة، وبوحمار، وبوعود، وبوسيف...الخ، الذين نجهل أصلهم وفصلهم[6]. وهناك سبب وجيه جعلني أختار البحث في هذه الشخصية الوطنية التي تزعمت الثورة في الصحراء الشرقية[7].

هو تناولها من طرف الفرنسيين الذين شوهوا وزيفوا من الحقائق ما الله به عليم. حيث أن هذه الشخصية الوطنية للأسف وفي حدود اطلاعي لم تدرس دراسة علمية تزيل اللثام عن أباطيل ثبتها ورسخها المؤرخون الفرنسيون؛ على غرار "لويس رين" في كتابه الذي هو قصدنا وعمدتنا في هذه الورقة،لماذا هذا الاختيار؟، يعتبر "لويس رين "المصدر الأول فيما يتعلق بمقاومة الشريف بوشوشة من حيث حجم المادة التاريخية،وكذلك الحال بالنسبة للعسكري الفرنسي لوشاتوليه"LeChatelier"(1) .اللذين أعتقد أنهما سلطا الضوء على مقاومة بوشوشة بشيء من التفصيل ،ومن منظار المدرسة الفرنسية فقط .لهذا سأحاول اقتباس بعض الآراء الخاطئة التي تنم عن العنصرية والشوفينية، ثم تبيان وجه الحقيقة في ذلك، ما أمكن إلى ذلك سبيلا. فمن يكون بوشوشة؟

كلمة بوشوشة كنية لُقب واشتهر بها هذا البطل، وهي تعني الأشعر أي غزير الشعر أوفره أو لخصلة بارزة منه، واسمه الحقيقي محمد بن تومي بن إبراهيم من مواليد سنة 1839(2) في بلدة الغيشة بجبال العمور حيث الحيوية وصفاء الذهن واكتساب الشجاعة، مارس حرفة الرعي فيصغره، وقضى مدة

https://doi.org/10.34118/jhc.v1i1.4755

من حياتهم تنقلا في منطقة الزيبان. حيث درس في العديد من زواياها خصوصا زاوية طولقة كما يقول سيمون[3].

يذهب جل المؤرخين إلى أن هناك مجموعة من العوامل والظروف ساهمت في قيام مقاومة الشريف بوشوشة، هذا الأخير كان يراقب عن كثب وينتظر الفرصة المواتية ليسدد ضربته بعزيمة أكبر وإرادة أقوى[4]، لقد امتدت هذه الثورة من وسط ستينيات القرن التاسع عشر إلى وسط سبعينياته(1862-1875م)، وقامت نتيجة تظافر مجموعة من العوامل والظروف؛ منها ثورة أولاد سيدي الشيخ سنة1864م[5]، ومجاعة عام 1867[6].

هذا فضلا عن هزيمة الفرنسيين أمام الألمان سنة 1870ووقوع نابليون الثالث إمبراطور فرنسا في الأسر[1]ودخول الأمير محي الدين ابن الأمير عبد القادر رفقة بن ناصر ابن شهرة إلى نفطة بتونس وكان ذلك في نوفمبر1870م[2]، واندلاع ثورة المقرانيين والرحمانيين[3]،يضاف إلى هذا الانقلاب الذي قام به اليساريون ضد النظام الإمبراطوري وإعلانهم قيام الجمهورية الثالثة في تاريخ فرنسا في:1870/09/04م ووقوع فرنسا في فوضى وتطاحن بين المدنيين والعسكريين حول الحكم[4]،أيضا صدور القرار الشهير القاضي بتجنيس يهود الجزائر بصفة جماعية بتاريخ1870/10/24م[5]،ثم انتفاضة الحنانشة بقيادة الكبلوتي بسوق أهراس يناير1871م،وأولاد عبدون في الشمال القسنطيني في فبراير، ثم النمامشة وأولاد عبيد استجابة لنداء محي الدين[6]،زيادة على ذلك ما عرف بالنزاع العائلي الذي كان على أشده حول السلطة والنفوذ بين أسرتي بوعكاز وبن قانة صاحبتي الجاه والسلطان في الصحراء الشرقية والذي انحصر إلى نزاع سياسي بين المقاومة وممثليها من جهة، وبين العدو وأنصاره من جهة أخرى[7].

وتتجلى الصورة الحقيقية التي تبناها ودافع عنها "لويس رين "حول مقاومة الشريف بوشوشة، في محاولة تعمده إغفال ذكر معظم حياته؛ فنحن نجهل أصوله وشبابه والمؤثرات والمواهب التي صقلت شخصية هذا البطل[8].ثم لم يسلم بوشوشة وثورته من التشويه السافر والحاقد الذي سلطته عليه الرواية الفرنسية، فهو في نظرها مجرد صعلوك متمرد على سلطتها، سارق وقاطع طريق ومحرض لأهل الصحراء ضدها،

https://doi.org/10.34118/jhc.v1i1.4755

شريف مزيف، ومغامر خشن، وان حركته ما هي إلا أعمال إجرامية كانت تقوم بها جماعة المداقنات[9] التي تكونت سنة 1868مفيتيديكلتواتخذت من السرقة والجرم والسلب والنهب وسفك الأرواح (القتل) عملا لها في الصحراء[10].

بعد هذا نجد "لويس رين" يفتتح كتابه بالإصرار على إلصاق تهمة السرقة بحق الشريف بوشوشة وجعله من الجناة الفارين من السجن في أول حياته، حيث يخبرنا "لويس رين" أنه في يوم:1862/12/22 م قدم للمحكمة التأديبية في معسكر التي حكمت عليه بالسجن لأنه سرق، وبعد خروجه من سجن بوخنيفيس عام 1863م ،اتجه إلى فقيق ومنه إلى توات حيث شرع فيجمع الأنصار وتحضيرهم للمقاومة[1].ونفس الكلام يختم به "لويس رين" أيضا بمقدمة كتاب "لوشاتليه "لكتابه المداقنات. كل هذا التشويه السافر من "لويس رين" كي يوهم أي قارئ لسفره هذا؛ بأن مقاومة الشريف بوشوشة لا تخرج عن نطاق الصعلكة والسرقة؟ لكي يتسنى له وبسهولة إخراج مقاومة هذا البطل من رحم المقاومات الشعبية، متناسيا أن لها نفس الخصائص والأبعاد مع مثيلاتها من المقاومات الشعبية، التي تحركت في إطار بعدين واضحين :البعد الديني، والبعد الوطني. وبعد هذا الاتهام المبني على غير دليل،تذهب بنا الرواية الفرنسية إلى أبعد من ذلك، في وصفها للقاعدة الشعبية التي حارب بها ومعها الشريف بوشوشة الفرنسيين؛ أنهم عبارة عن ساخطين وناقمين، بل ومجرمين[2].

وأما عن النقطة الثانية التي أثارها "لويس رين" أثناء وضعه مقدمة لكتاب "لوشاتلييه" لكتابه السابق ذكر كما مر بنا من قبل، هو نفيه عن الشريف بوشوشة مسألة الشرف، حيث أكد نهاية الشريف المزعوم بعد إلقاء القبض عليه سنة1874م[3]،فكلمة نهاية الشريف المزعوم توحي إلى أن "لويس رين" يصبو إلى شيء خطير، وهو التشكيك حتى في صدق وأمانة بوشوشة، إذ الزعم ويزعم وزاعما وغيرها تدل عندنا على معاني الكذب وانتفاء الصدق والأمانة. ثم نجده يتطرق إلى نقطة ثالثة مشوهة أكثر من سابقاتها؛ وهي أن حركته ماهي إلا رد وانتقام من الذين سجنوه فقط[4]،إذ ليست موجهة نحو الفرنسيين في الجزائر، بل وحسب "لويس رين "هي تصفية حسابات شخصية، ليس لها علاقة بالحراك الشعبي المحموم في الجنوب في إطار المقاومات الشعبية، حيث قدم لنا شيخ المؤرخين

https://doi.org/10.34118/jhc.v1i1.4755

المرحوم "أبو القاسم سعد الله" وصفا لحالة الجنوب حينما زاحم الشمال في إطار تسجيل حضوره عن الدفاع عن السيادة الوطنية، حيث كان يغلي بالثورة كحرارة شمسه[5] .

وللأسف ليس لدينا معلومات لمعرفة أحداث مقاومة الشريف بوشوشة في مرحلتها الأولى المعروفة بمرحلة الإعداد والتحضير التي دامت ست سنوات(1862-1869م)[1]،التي تكاد تكون مضببة[2]، إذ لا يمكننا معرفة سبب و حقيقة هذا الغموض.

وكعادته "لويس رين "يطعن في مقاومة الشريف بوشوشة؛ ففي أحداث 05/ 03/ 1871م، وصل بوشوشة إلى نفوسة ودخوله مدينة ورقلة دون مقاومة وبعد مفاوضة أهلها، أقدم بوشوشة على سفك الدماء، غير مبال بحفظ العهود. فحسب رأي" رين" قام بوشوشة على قطع رؤوس خمسة من النبلاء الميزابيين، وهذا إرضاء لفريقه من المخادمة، بعد ان احتجزهم حينما أرادوا مفاوضته قبل دخوله ورقلة، حيث اخذ منهم فدية 9500فرنك فرنسي، وسبب القيام بهذا العمل حسب "لوين" هو رغبة المخادمة والشعانبة في الاستيلاء على محلات الميزابيين العامرة[3]. فلذلك لا عجب أن يتكرر مثل هذا الوصف من "لويس رين"وغيره من الكتاب الفرنسيين في معرض كلامهم عن المقاومة الشعبية وعن رجالاتها؛ فمرة ليست وطنية، ومرة مؤامرة خارجية تفتقد للسند الشعبي سواء على مستوى القيادة أو القاعدة العريضة. ومرة أسبابها اقتصادية اجتماعية محضة وهلم جرى.

والأكثر من هذا نجد "لويس رين" يركز على افتقاد مقاومة بوشوشة للسند الديني من طرف أصحاب الزوايا، مع العلم أنه حاول كثيرا استمالتهم لكن محاولاتهم كانت عبثا، لان الدعاية الفرنسية قامت بدورها ونسجت خيوط المؤامرة جيدا، وقدمته على أنه يمثل هو ومقاومته خطرا على مصالح الطرق الصوفية؛ منها على سبيل المثال الدور المخجل والمؤسف للطريقة التيجانية في موقفها من مقاومة بوشوشة، فيورد "لويس رين" موقف شيخ زاوية تماسين "سي محمد العيد" حينما اتصل به بوشوشة لغرض التعاون ضد الفرنسيين، فرفض استقباله، قائلا له:"...إنه بمشيئة الله دخل الفرنسيون إلى الجزائر وأن حكومتهم دائمة فاحترس..."[4].وهذا ما يتعارض مع الرواية الفرنسية الأخرى التي تؤكد ضلوع الطريقة السنوسية في ثورة بوشوشة[5].

https://doi.org/10.34118/jhc.v1i1.4755

غير أننا وجدنا من المؤرخين الجزائريين من يؤكد حقيقة انتماء بوشوشة للطريقة السنوسية، عن طريق مقدمها "الحاج أحمد التواتي" في الصحراء، الذي جند بوشوشة للعمل في الصحراء ضد الفرنسيين[1].يقدم لنا "لويس رين" تفسيرا لكيفية جمع بوشوشة لأنصاره وحشدهم لمقاومة الفرنسيين، فلم يكن حسبه بحرية وإرادة سكان الجنوب، سيما أهل ورقلة حينما انظموا له كراهية بعد أحداث 1871/03/05م،بعد ما جرى للميزابيين من طرف بوشوشة؛ من قطع رؤوس خمسة نبلاء منهم وأخذ مبلغ مالي قيمته 9500 فرنك فرنسي كفدية، هذا العمل في رأي "رين" هو الذي دفع أهل ورقلة للانضمام إلى حركته[2].ويؤكد "لويس رين" مرة أخرى على أن الشريف بوشوشة مجرد جامع للأموال؛ فيورد لنا قضية زواجه من "فاطمة بنت جلول"[3]حفيدة سيدي الشيخ في الفاتح من سبتمبر عام 1871م،هذا الزواج في رأي "رين" هو تحالف يجمع بين "سي الزبير" والشريف بوشوشة كان رغبة في المال والحصول على آغوية ورقلة "لسي الزبير"، فهنا يريد "رين" مرة أخرى أن يشكك في هذا التحالف الطبيعي بين رموز المقاومة، وينزع عنه صبغته الدينية والوطنية.

وفي ختام كلام "لويس رين" عن مقاومة الشريف بوشوشة، نجده ينقل لنا حيثيات محاكمة الشريف بوشوشة في المجلس الحربي بقسنطينة التي دامت خمسة عشر يوما، يختم مرة أخرى وكعادته بالسب والتقزيم لهذه الشخصية الوطنية التي جمعت رموز المقاومة في الجنوب" كالشريف بن عبد الله" و"ابن ناصر بن شهرة" و "سي الزبير" حولها[4]،ومن بين العبارات التي انتقاها "رين" أثناء محاكمة الشريف بوشوشة حسب زعمه، أن بوشوشة صرح بأنه كلب(سلوقي) استعمله الصياد لالتقاط الفريسة، وأن هذا الذي أمره بالصيادة أقنعه أن فرنسا زالت وانتهت وأنها لا تساوي شيئا، فهو بذلك يرحب بقدرة ومصيره المحتوم عليه والمستحق من طرف الفرنسيين؛ لان الذين اشتغل لصالحهم تخلوا عنه[5].فهو بهذا يختم كتابه بالتشويه والتقزيم والسب والطعن، كمطابقة لمقدمة كتابه التي بدأها بسرقة الشريف بوشوشة دون تقديم دليل على ذلك.

https://doi.org/10.34118/jhc.v1i1.4755

خاتمة:

- من خلال عرضنا لآراء "لويس رين" حول مقاومة الشريف بوشوشة، تبين لنا أن هذه المقاومة هي مقاومة وطنية شريفة الوسيلة والغاية، وكغيرها من ثورات القرن التاسع عشر قاومت الاستدمار الفرنسي وأعوانه.

- تبين لنا أن مقاومة الشريف بوشوشة الوطنية واجهت صدامات وحروب مزدوجة؛ الأولى ضد آلة الدمار فرنسا آنذاك، والثانية ضد أعوان وأزلام الفرنسيين من بني جلدة الشريف بوشوشة، وللحقيقة التاريخية التي تكاد تكون واضحة جلية للعيان، أن سبب القضاء على مقاومة الشريف بوشوشة يتحمل قسطها الأوفر أعوان وأزلام الفرنسيين.

- حينما ندقق فيما ماحشده"لويس رين" في كتابة "تاريخ انتفاضة 1871 في الجزائر" من كيل للسب والتجريح غير المدلل عليه، يكمن في استطاعة الشريف بوشوشة تحرير كل من مدن ورقلة وتقرت ومتليلي والمنيعة خاصة في سنة1871م؛سنة ارتفاع حمى ولظى مقاومة الشريف على الفرنسيين وأعوانهم، يضاف إلى ذلك خطر بوشوشة الحقيقي في استطاعته لأول مرة في تاريخ المقاومة في الصحراء؛ التفاف رموز المقاومة في الجنوب" كالشريف بن عبد الله" و"ابن ناصر بن شهرة" و"سي الزبير" حوله، من هنا راح الفرنسيون يكيلون له التهم الساذجة التي لا تقرها حتى أنفسهم الاستعمارية.

- لا يمكننا أن نفصل مقاومة الشريف بوشوشة عن التعبئة الدينية آنذاك؛ والمتمثلة في الطرق الصوفية، فقد رأينا وجود اتصالات تثبت علاقة كل من الطريقة السنوسية والرحمانية في إشعال فتيل مقاومة الشريف بوشوشة.

- نوجه القائمين على هذا الملتقى العلمي إلى ضرورة إدراج المقاومات الشعبية في الجنوب الشرقي والغربي في كتب التاريخ بالنسبة للناشئة(الطور المتوسط مثلا).

- ندعو إلى تأسيس مخبر علمي يعنى بجمع التراث المحلي الخاص بتاريخ الصحراء عبر العصور.

https://doi.org/10.34118/jhc.v1i1.4755

- إقامة أيام تحسيسية تحتضنها الجامعة لبعض المهتمين وأصحاب الخزائن العائلية التي تملك تراث مخطوط يتعلق بتاريخ المقاومات في الصحراء الشرقية لغرض فتح بيوتهم للباحثين واطلاعهم على ما يملكون من تراث مخطوط .
- توجيه طلبة الماستر في جامعتنا إلى الاشتغال بالبحث في تراثنا المحلي ومنها المقاومة.

الملاحق:

الملحق رقم(1):يوضح أصل معنى كلمة المداقنات في نظر الرواية الفرنسية[1]:

كلمة المداقنات نسبة إلى مداقن اسم رجل ترقي جاء إلى الشعانبة سنة 1860م فأحسنوا إليه، ولكنه أساء إليهم حين سرق بعض إبلهم، وأول من أطلق هذه التسمية هو معطى الله بوظفر كبير شعانبة ورقلة الذي كان في ضيافة بوبكر بن عبد الحكم زعيم الشعانبة المواضيي في مجاعة عام 1867م، وعندما قدم له عنزة مشوية بدون ملح ولا سمن قال له مازحا: إنكم قد تعتدون على من يفعل معكم الخير، تسرقون العدو والصديق ،أنتم مثل الطوارق مداقنات.

بقيت التسمية تطلق على الجماعة التي اتخذت السلب والنهب والقتل عمال لها في الصحراء منذ سنة 1868م، وهذا في نظري تحينا للفرص من طرف الفرنسيين، حينما حددوا لها تاريخا يوافق ويطابق زمكانية مقاومة الشريف بوشوشة تقريبا.

https://doi.org/10.34118/jhc.v1i1.4755

الملحق رقم(2): كشاف معارك بوشوشة ضد كل من الفرنسيين وأعوانهم من الجزائريين حسبما ما جاء في كتاب "لويس رين"، " تاريخ انتفاضة 1871في الجزائر"، مقتطفة من صفحات متفرقة .

– مرحلة التحضير وجمع الأنصار: ظهوره بعين صالح عام 1869م ومبايعة الشعانبة المواضي له كشريف عليهم.

– دخوله المنيعة في ابريل 1870م وسجن القائد" جعفر" عميل الفرنسيين فيها.

– دخوله متليلي في 1870/05/05م.

– بعد أسبوع من أحداث متليلي توجه إلى آبار سبسب أين اشتبك مع قائد الأرباع" لخضر بن محمد".

– مكوثه بعدها في عين صالح عشرة أشهر من ماي 1870،إلى مارس1871قضاها في جمع أنصاره وتحريض الشعانبة، دون القيام بأي عمل عسكري يذكر.

– وصوله إلى نقوسة في 03/05/ 1871م،ودخوله ورقلة دون مقاومة تذكر،التي كانت تابعة لأغوية " علي باي بن بوعكاز"،بواسطة خليفته عليها "سي نعمان بن ذباح".

– في 1871/05/08م،اتجه بوشوشة إلى قمار، لكن السوافة قاوموه ورفضوه، ومن بينهم شيخ الزاوية التيجانية" محمد الصغير بن الحاج"، واتفقوا على دفع مبلغ مالي له مقابل رحيله عنهم.

– بعدها اتجه إلى مويت القائد ووصول مجموعة من الرسائل من زعماء وشيوخ عرب غرابة، وسلماية، وأولاد رحمان، وأولاد مولات، ونزلة، ومجارية، يعرضون فيها المساعدة.

– في 1871/05/13م تمكن من دخول تقرت وبقي بها إلى غاية 21 ماي من نفس الشهر والسنة، حيث عين خليفة له وأغا على تقرت السيد "قوبي بن قوبي".

– شهرين من بعد ذلك حاول بوشوشة كسب تأييد الزاوية التيجانية عن طريق شيخها "سي محمد العيد"، ولكن دون جدوى، ومنها رحل إلى بلدة عمر وبعدها إلى عين صالح لجمع الأنصار حوله.

– محاولة "علي باي" استرجاع مدينة تقرت الفاشلة بتاريخ: 1871/07/08م،بمساعدة أولاد عمر، وأولاد زكري، وأولاد نايل.

https://doi.org/10.34118/jhc.v1i1.4755

– في 1871/07/10م وصول بوشوشة رفقة "ابن ناصر بن شهرة"، ونجاحهما في اقتحام مدينة تقرت وهزيمة "علي باي" وانسحابه إلى بسكرة في 1871/07/10م.

– بعد هذه المعركة في شهري جويلية وأوت جرت بينه وبين أولاد زكري حلفاء "علي باي" معارك أثرت على بوشوشة وهزت هيبته أمام أهل الزقم وكوينين وتاغزوت من السوافة ومطالبتهم إياه بإرجاع الفدية حسب رين، بعدها ترك بوشوشة رفيقه" ابن ناصر بن شهرة" خليفة له على تقرت، ليتوجه إلى النوميرات جنوب العطف (غرداية) بميزاب التي حل بها في 1871/08/31م.

– في 1871/09/04م يخيم بوشوشة ببني يزقن مطالبا الميزابيين بدفع الإتاوات والخضوع له ومبايعته، لكنهم رفضوا ليقرر الرحيل عنهم في 06 من نفس الشهر.

– في نفس الشهر رجع إلى ورقلة صحبة "سي الزبير" فوجد في استقباله "ابن ناصر بن شهرة" و"الشريف محمد بن عبدالله" ،رفقة أولاد خليفة، وحمامة.

– مرور شهري سبتمبر واكتوبر1871م دون أن يقوم الشريف بوشوشة بأي عمل عسكري.

– في 1871/11/07م وقعت معركة بين بوشوشة والقائد "بولخراس بن قانة" وقبيلة سعيد عتبة، وذلك بمنطقة"كويف جبلة" بين القرارة والعالية، فقد فيها بوشوشة 50 من جنده وأصيب هو بجروح، لينسحب إلى "حاسي القطار" جنوب ورقلة للعلاج، ومنها إلى "حاسي بوروبة".

–في 1871/12/27م يحتل الجنرال "دولاكروا"(Delacroix) مدينة تقرت بعد تحرير دام 8 أشهر.

– في 1872/01/02م ينجح القائد الفرنسي "روس" في احتلال ورقلة بعد تحرير دام عشرة أشهر.

– في1872/01/09م وقعت معركة تامزقيدة التي هزم فيها علي يد القائد الفرنسي "روس" وأعوانه من أولاد عبد النور وأولاد نايت من سطيف، وقبيلة سعيد عتبة وأولاد زكري، ومخازنية علي باي ،وأتباع بوعكاز.

–في 1872/01/11م تعرض الشريف بوشوشة للقتل من طرف" مولاي العربي" أحد أشراف ورقلة.

https://doi.org/10.34118/jhc.v1i1.4755

-بعد معركة تامزقيدة، اتجه الشريف بوشوشة إلى عين صالح ومنها إلى كرزاز ومنها إلى توات لتجديد حركته

- قيامه بمناوشات في كل من الاغواط والمنيعة وورقلة في جويلية1873م،وفي ورقلة اصطدم "بالسعيد بن إدريس"خليفة وأخ أغا ورقلة "محمد بن الحاج بن إدريس" في موقع "حاسي الناقة".

- في 1874/02/13م يهاجم بوشوشة بلدة" مطماط "شرق الحجيرة، ويستولي على250 جمل، ليكلف الجنرال "ليبير"(Liebert) السعيد بن إدريس بمطاردته، ولكنه فشل في ذلك في موقع "حاسي بوكلوة" بتاريخ:1874/02/19م.

-في 1874/03/31م وقعت معركة" الميلوك" جنوب عين صالح، تم القبض على الشريف بوشوشة ،علي يد كل من: "بعج بن قدور بن مبارك قائد السعيد عتبة" "وأحد رجال السعيد بن إدريس "بعدها اقتيد إلى ورقلة، بعدها اقتيد إلى العاصمة ليعرض على المجلس الحربي، ليحال بعدها إلى المجلس الحربي بقسنطينة،(**بتهمة أنه مجرم حرب**)،لينفذ فيه حكم الإعدام بمعسكر الزيتون بتاريخ:1875/06/29م.

https://doi.org/10.34118/jhc.v1i1.4755

قائمة المصادر والمراجع:

1-المصادر الفرنسية:

1.A.Berbrugger ,Introduction ,in(R.A) N° 1,Annee1856,AlgerA.Jourdan,Libraine-Editeue

2-E. Mangin ,Notes Sur l'histoire de Laghouat, in(R.A) N° 38 Année 1894 , O.P.U. Alger.

-3Louis Rinn, Histoire de L'insurrection de 1871 , en Algérie. Alger, 1891.

3-Le Chatelier, Les Medaganat, ,in(R.A) N° 30,1886.

2-المراجع العربية:

1-عبد الله العروي: مفهوم التاريخ،ط4،المركز الثقافي العربي،بيروت2005.

2- أحمد بحري: دور الطرق الصوفية في المقاومة الشعبية خلال القرن التاسع عشر،(د.ت).

3-أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية،ط1،دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992، ج3،ج1.

3-الرسائل الجامعية:

1- غرينة عبد النور: الأوراس في الكتابات الفرنسية إبان الفترة الكولونيانية"1840-1939م"، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ الأوراس الحديث والمعاصر،(غ.م)،قسم التاريخ وعلم الأثار، جامعة الحاج لخضر، باتنة2009-2010م.

4-المجلات والدوريات العربية:

1- عبد القادر بوباية: نشاط بن ناصر بن شهرة في تونس وعلاقته بالأمير محي الدين بن الأمير عبد القادر، في مجلة عصور، مجلة فصلية محكمة يصدرها مخبر البحث التاريخي مصادر وتراجم ،جامعة وهران2003،العدد 03.

2-محمد بن معمر: الشريف بوشوشة: زعيم ثورة 1871م في صحراء الجزائر الشرقية، في مجلة عصور، مجلة فصلية محكمة يصدرها مخبر البحث التاريخي مصادر وتراجم ،جامعة وهران2002،العدد 01.

3-محمد غالم: من أرشيف الإدارة الاستعمارية في الجزائر : الوثائق الفرنسية و الهجرة إلى الديار الإسلامية، في مجلة إنسانيات، المجلة الجزائرية في الانثروبولوجية والعلوم الاجتماعية، وهران 2000،العدد12.

https://doi.org/10.34118/jhc.v1i1.4755